

زبدة الأصول

[212] وجهك وتشويق بياضك بهذا السواد ؟ فقال بلسان الحال: سلوا هذا الممداد الذى ورد على وغير هيئتي وجلبتي. فقال للممداد: لم فعلت ذلك ؟ فقال: كنت مستقرا في قعر الدواة لا صعود لى بنفسى عن ذلك القعر فوردت على قضبة تسمى القلم فرقانى من مقعري، ولو لا نزوله ما كان لى صعود. فقال للقلم: لم فعلت ذلك ؟ فقال: كنت قصبا ثابتا في بعض البقاع لا حركة منى ولا سعى فورد على قهرمان سكين بيد قاطع فقطعني عن أصلى ومزق على ثيابى وشق رأسي ثم غمسنى في سواد الحبر ومرارته. فقال للسكين: لم فعلت ؟ فأشارت الى اليد، فاعترض عليها فقالت: ما أنا اللحم ودم وعظم حركني فارس يقال له القدرة فأسألها. فلما سألها عن ظلمها وتعيديها على اليد أشارت الى الارادة، فقال لها: ما الذى قواك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة ؟ فقالت: لا تعجل لعل لنا عذرا وأنت تلوم، فانى ما انبعثت بنفسى ولكن بعثنى حكم حاكم وأمر جازم من حضرة القلب وهو رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة والالتزام لها في الفعل، فانى مسكين مسخر تحت قهر العلم والعقل فلا أدري بأى جرم سخرت لهما وألزمت لهما الطاعة، ولكني أدري أن تسخيري اياها بأمر هذا الحاكم العادل أو الظالم، فأقبل على العلم والعقل والقلب طالبا ومعاتبا اياهم على سبب استنهاض الارادة وانهاضها للقدرة. فقال العقل: أما انا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن اشعلت وقال القلب: اما انا فلوح ما انسبطات ولكن بسطت وما انتشرت ولكن نشرني من بيده نشر الصحائف، اما العلم فقال: انما انا نقش في منقوش وصورة في بياض لوح القلب لما أشرق العقل وما انحططت بنفسى فكم كان هذا اللوح قبلى خاليا فاسأل القلم عنى واسأله عن هذا. فرجع الى القلم تارة أخرى بعد قطع هذه المنازل والبوادي وسير هذه المراحل والمقامات، فوقع في الحيرة حيث لم يعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من العظم والخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار، وكان يسمع في هذا المنزل هذه الاسامي ولا يشاهد شيئا من مسماهها، فقال له العلم: زادك قليل وبضاعتك مزجاة ومركبك ضعيف، فالصواب لك أن تؤمن بهذه المسميات ايمانا بالغيب وتنصرف وتدع ما انت فيه. فلما سمع السالك ذلك استشعر قصور نفسه فاشتغل قلبه نارا من حدة غضبه على
